سلسلة كيف نحمي الدين و الوطن

العودة إل كلمات منوعة

صلاح الأمة ... بتصالح الأئمة

أحبابنا في الله: الحب من طبيعة الإنسان ، فالحب عمل قلبي ، ولذا كان الحب موجوداً منذ وجد الإنسان على ظهر هذه الأرض وتظل المحبة على وجه الأرض ما بقي إنسان ولمّا كانت المحبة بتلك المنزلة جاء الإسلام ليهذبها ، ويجعل منها رباطاً قدسياً ينظم بين قلوب العباد وأهل البلاد لله وفي الله . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله يقول يوم القيامة :

(**أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**) .

ويقول الله تعالى : **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)** [آل عمران]

ويقول الله تعالى: **(وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** [الأنفال]

وفي هذا إيماء وإشارة إلى حاجة الإنسان لمعنى الاجتماع ، وأنه لا يتحقق معنى الإسلام بدونه ، فالصلاة جماعة ، والحج جماعة ، والصوم جماعة ، فنحن لا نستطيع أن نطبق أخلاقيات الإسلام إلا بالمعايشة ؟ كيف تعرف إن كنت حليماً أم لا؟ إن كنت صبوراً أم لا؟ إن كنت كريماً ؟ إن كنت شجاعاً ؟ إلا من خلال مجموعةٍ تُعايشُهم ، وتعاملهم وتتفاعل معهم، يصبرون عليك وتصبر عليهم ، يحلمون عليك وتصفح عنهم ، إلى غير ذلك .ووصايا النبي صلى الله عليه وسلم والأحاديث في هذا كثيرة فمنها قوله:

(**من فارق الجماعة شبراً فمات فَمِيتَةٌ جاهلية**) فهذه الحقيقة واضحة وبديهيّة ومستقرة في حس كل مسلم ، لكن الشأن في تفعيلها ؛ لأن كثيراً من الإخوة يكون عندهم غيرة شديدة ، وحرص عظيم على الوحدة ، لكن يفتقدون آلية تطبيق هذه الوحدة وبذلك يصبح الإنسان كأنه يريد من الناس أن يجتمعوا على قناعاته ، وآرائه ، واختياراته ، واجتهاداته ، وهذا أمر متعذر ؛ لأن الناس لم يجتمعوا على من هو خير منه ؛ فأولى أن لا يجتمعوا عليه . إنما الشأن في القدرة على وجود منهجية نتقبل فيها الآخر .

فيجب علينا العمل على سلامة الصدور والنفوس من الأغلال ، والأحقاد ، والكراهية ، والضغائن ، والبغضاء وأن يحل محلها التسامح والتغافر والتعاذر والتصافح والتصالح والتواصل والتكامل والرحمة والشفقة و التعاون على البر والتقوى ولتعميق اللقاء ولتحقيق الارتقاء , وترك التعاون على الإثم والعدوان ، كما أمر الله تعالى ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر و إحياء مبدأ النصيحة ، و العمل ما أمكن في خطوط متوازية ومتعاضدة غير متقاطعة ولا متعاندة. إننا نجد واقعنا يُنبئ عن قدر كبير من الاختلاف، وكلنا نتحدث بهدوء عن أخلاقيات الاختلاف، وقد نضع نظريات جميلة من الناحية اللفظية، لكنَّ القليل منّا هم أولئك الذين يستطيعون أن يطبقوا هذه النظريات، ويحولوها إلى واقع في سلوكهم العملي.

وقال الإمام أحمد:(ما عبر الجسر إلينا أفضل من إسحاق، وإن كنا نختلف معه في أشياء؛ فإنه لم يزل الناس يخالف بعضهم بعضا).

فنحن بحاجة إلى تدريس أدب الخلاف في مدارسنا وجامعاتنا ومساجدنا، وتدريب الشباب والفتيات على ممارسته عملياً؛ ليتحول إلى عادة وإلى عبادة في الوقت ذاته.والجميع بحاجة إلى مراعاة أدب الخلاف وأخلاقيات الحوار ،يحتاج إليه الحاكم؛ ليحفظ حقوق رعيته، حتى ممن يختلفون معه؛ كما حفظ النبي صلى الله عليه وسلم حقوق الناس كلهم؛ فحفظ حقوق المخالفين بالمدينة من اليهود والمنافقين ، يحتاج إليه العالِم ليحفظ حقوق الطلاب، ويعدل بينهم ويُحسن الظن بأسئلتهم وإشكالاتهم واعتراضاتهم، ويفتح لهم صدره، ويربيهم على المسؤولية المستقلة، وليس على الذوبان في شخصية الشيخ ليخرج لنا سادة نبلاء نجباء، وليس مقلدين أتباعاً ضعفاء ، و يحتاج إليه الأب تحبُباً إلى قلوب أولاده، وعذراً لهم فيما خالفوه فيه .

نعم! نحن نتحدث، ويجب أن نتحدث عن أدب الخلاف، فهناك من يقول **إن لم تكن معي فأنت ضدي**، فهناك المفاصلة بل والمقاصلة. وهناك من **يخلط بين الموضوع والشخص**؛ فيتحول نقاش موضوع معين، أو فكرة، أو مسألة إلى هجوم على الأشخاص، وتجريح واتهام للنيّات، واستعراض لتاريخ هذا الإنسان أو ذاك، وبالتالي تتحول كثير من الساحات إلى محيط للفضائح والاتهامات وغيرها من الطعون غير المحققة ، وأحياناً **لغة الحوار**، بدلاً من أن تكون مجادلة بالتي هي أحسن تتحول إلى نوع من السب والشتم.

إن هدوء الإنسان، واستقرار نفسه، وهدوء لغته، وحسن عبارته، وقوة حجته هو الكفيل بأن تنصاع له القلوب، وأن يصل الحق الذي يحمله إلى أفئدة الآخرين، وأن يتغلب على باطلهم ، و كان حكيم الفقهاء (الشافعي) يقول:

1- قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب.

2- ما ناظرت أحداً إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه.

3- لو خاصمت ألف عالم لخصمتهم، ولو خاصمت جاهلاً لخصمني.

4- ألا يمكن أن نكون إخوة؛ وإن لم نتفق في مسألة؟

5- الحر من راعى وداد لحظه أو تمسك بمن أفاده لفظه.

فمتى فُتح المجال لجرثومة الفرقة وفيروس الاختلاف؛ فإن العاقبة مخيفة، والدافع له غالباً هو ضعف النفوس وفساد الأخلاق، والطمع في الجاه والمال والرياسة.

نعم ! إننا بحاجة لا تُؤجَّل لأن نغرس في نشئنا الصاعد حبَّ الوحدة والاجتماع، والنفور من الفرقة، والاحتفال بقضايا الاتفاق وإبرازها، وتحجيم عوامل الفرقة وعزلها، ولن نصنع ذلك ما لم نتغلَّب على روح الـ(أنا) الطاغية.

وفي سياق هذا الموضوع هناك محاذير ينبغي التنبه لها :

أولاً: من المحاذير المهمة البحث عن نقاط الاتفاق , وليس عن نقاط الخلاف؛ لأن الذي يدخل بروح التفحص والاختبار سيجد إمّا في عمومية اللفظ أو ملابسة الموقف أو ظروف الاجتهاد ما لا يروق له, وأمور الناس ينبغي أن تؤخذ بالستر والعافية وحسن الظن .

ثانياً : التصحيح مطلوب , لكن بالرحمة والشفقة، وبقلب محب ناصح يتحرى الخير، ويؤثر حسن الظن، ويقدم العذر، ويحفظ حقوق الأخوّة , ويجب الحذر من حظوظ النفس الخفية التي قد تحدث فرحاً بالغلط الذي قد يقع من أخيك .

ثالثاً: إياك أن تظن أن المقصود بهذا الكلام غيرك فرداً أو جماعة أو شريحة , أنا أقصدك أنت شخصياً، وبذاتك وعينك , فالذي نعانيه ونواجهه أن الداء مستحكم فينا، والمشكلة تقع في داخلنا وفي ضمائرنا، وما لم نُعْمِل مبضع الجّراح في عقولنا وقلوبنا وتصرفاتنا وأقوالنا وأعمالنا فلن نفلح .

رابعاً: خطورة الاشتغال بالتصنيف , وهو داء أممٍ قبلنا، وداء كثير من الجماعات، فإذا رأيت من شخصٍ ما لا يروق لك أو ما لا يعجبك سارعت بتصنيفه ووضعه ضمن جماعة معينة أو قائمة من القوائم المعدة سلفاً في عقلك, وكأنك فرغت منه وحاولت أن تضع حاجزاً بينك وبينه أن تتعاون معه , وبينه وبين الآخرين أن هذا من المجموعة الفلانية، أو من الطائفة الفلانية، أو من المدرسة العلانية , وهذا يكون بغير علم أحياناً , ويكون ببغي أحياناً كثيرة، ويتم دون أن تعرف ما عند هذا الإنسان على سبيل التفصيل , ودون أن تعرف من نسبْتهم إليه أيضاً .

ولنعلم - **أيها الأحبة** – أن الطريق طويل، ويحتاج إلى تربية وإعداد وبناء ويحتاج إلى التوقف عن الخصام والشقاق والتشاحن والبغضاء بيننا ، ولنحلّ محل ذلك التوحد والأخوة ، وأن تبدأ أنماط معقولة من التعاون على البر والتقوى ، وفي المشاريع المشتركة دعوية كانت ، أو علمية ، أو اقتصادية ، أو إعلامية ، أو غير ذلك ، يكفي أن نربي الشباب في محاضنهم على أصل الاجتماع وخصوصاً في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها وطننا الغالي والحبيب .

الدكتور محمود قول آغاسي